شخصية العدد

مصعب بن عمير

أ.د/ حسن عبد الحميد حسن

عميد الكلية

مصعب بن عمير

مقـــدمة :

منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية فى مكة . وإلى أن سطع شمسها واستقر أمرها فى المدينة . وأصحاب رسول الله (ﷺ) يقومون بتبليغ الدعوة والدفاع عنها وتعميق مفاهيمها بين الناس . دون يأس أو كلل وقد تجشموا المصاعب واستعذبوا الآلام فى سبيل نصرة الدعوة هانت عليهم الأنفس وتضائلت أمامهم قيمة الأموال وملذات الحياة بل لقد سمت نفوسهم إلى أفق عليا تحررت فى ظلها من قيود العاطفة الغريزية ووشائج الدم والقرابة فكان الاب يقاتل ولده والإبن يقاتل أباه أو أخاه دفاعا عن الدعوة وإعلاء لكلمتها .

وقد اخترنا للقارىء الكريم علماً من أعلام الدعوة وأول داع إلى الله تعالى فى المدينة « مصعب بن عمير » أو « مصعب الخير » ولا يعنينا العرض المسهب لترجمة مصعب بن عمير بقدر ما يهمنا إبراز المكونات النفسية والعقدية والسلوكية فى تلك الشخصية العظيمة وبيان مدى أثارها فى الدعوة إلى الله .

فالداعية إلى الله تعالى لا يبدأ من فراغ ولكن تحيط به عوامل ومؤثرات تؤهله للقيام برسالته . أهمها معالم شخصيته وجوانب تربيته . إلى جانب فهمه الواعى لطرق الدعوة ومدى إستعداده لحمل مسؤلياتها .

مصعب بن عمير : [1]

هو مصعب بن عمير بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن كلاب بن مرة القرشى العبدرى يكنى ابا عبد الله .

مولده ونشأته :

ولد هذا الصحابى الجليل فى مكة ونشأ بين ربوعها فى أحضان أسرة عرفت بالغنى والثراء . وقد ظهر أثر ذلك واضحا على حياته المترفه الناعمة. فأمه كانت تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه . وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمى من النعال - وهو من أغلى الأنواع وأجودها .

يقول الرسول (ﷺ) مصورا حياة مصعب « ما رأيت بمكة أحدا أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب ابن عمير » [2].

اسلامه :

وسط مباهج الحياة ومفاخرها كان يعيش هذا الشاب يزهوا بجماله ويفاخر بماله . الحياة أمامه هانئة رغدة يعيش بين ابوين كريمين يفيضان عليه بالمال ويحوطانه بالرعاية والحنان .

وفى الجانب الآخر . كان مصعب يرى خارج منزله قلة من أصحاب محمد (ﷺ) آمنوا بدعوته الجديدة وقد تصدت لهم قريش بأموالها ورجالها وأعلنت الحرب على صاحب الدعوة وأتباعه .

---

(١) انظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير جـ٥ ص١٨١ .

(٢) الطبقات الكبرى للواقدى جـ٣ ص ٨٢ .

ويشاهد هذا الشاب المدلل صورا متعددة لاصحاب محمد (ﷺ) وهم يعذبون فى بطحاء مكة يلهب السياط ظهورهم وتحرق أجسادهم حرارة الشمس القاسية . هذا إلى جانب ألوان أخرى من التعذيب والتنكيل والبطش .

كان هذا كله كفيلا بأن يباعد بين مصعب وبين أصحاب محمد (ﷺ) ولو لفتره من الزمن كما فعل بعض أقرانه اللذين أسلموا يوم فتح مكة فلم يكن هناك مجال أمام مصعب لان يقارن بين حياته المترفة وبين ما عليه أصحاب محمد (ﷺ) . فالتحول من حياة الترف والبذخ إلى حياة القسوة والالم والمعاناة أمر ترفضه النفس لأول وهلة حتى وإن كان مجرد خيال يتراءى أمامها.

لكن هداية الله عز وجل تعلو فوق مؤثرات النفس وتسموا على رغباتها واهوائها . فلقد شرح الله صدر مصعب للإسلام يقول الواقدى عن مصعب «بلغه أن رسول الله (ﷺ) يدعوا إلى الإسلام فى دار الأرقم بن الأرقم فدخل عليه فأسلم وصدق به وخرج فكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه فكان يختلف إلى رسول الله (ﷺ) سراً فيصر به عثمان بن طلحة يصلى فأخبر أمه وقومه فاخذوه فحبسوه فلم يزل محبوسا حتى خرج إلى أرض الحبشة فى الهجرة الأولى ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا فرجع متغير الحال »[1].

بعد إسلام مصعب تحول إلى رجل فقير فقد إنقطع عنه مال أمه

(١) الطبقات الكبرى للواقدى جـ ٣ ص ٨٢ .

وحنوها عليه .

لكنه لم يبالى بذلك . فقد كان يرى فى شظف العيش مع نور الإيمان حلاوة . وفى تجشم المصاعب وتحمل الآلام لذة وسعادة . إن حياة الماضى قد تضائلت أمام حياة الحاضر فالأولى رغم كثرة مالها وهناءتها . كانت تنقصها حلاوة الإيمان ونور هدايته لقد زهد مصعب الدنيا . وها هو بعد أن كان يلبس أحسن الثياب وأجوده . يرتدى على جسده بردة من وبر الغنم مرقعة ويذهب بها الى رسول الله (ﷺ) . « عن على ابن ابى طالب قال جئت الى رسول الله (ﷺ) . فجلست اليه وهو فى عصبة من أصحابه فطلع علينا مصعب بن عمير فى بردة مرقوعة بفروة غنم وكان أنعم غلام بمكة فلما رآه النبى (ﷺ) ذكر ما كان فيه من النعيم فذرفت عيناه وبكى قال عمر بن الخطاب فسمعت الرسول (ﷺ) يقول : أنظروا إلى هذا الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين ابوين يغدوانه باطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة اشتراها بمأتى درهم فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون »[1].

وما أحسب بكاء الرسول (ﷺ) إلا ترجمة لأحاسيسه التى إختلط فيها الفرح بالحزن . الفرح لإسلام مصعب . والحزن والأسى على حال المسلمين وضعفهم آنذاك . وكأنى الرسول (ﷺ) يتعجل الفرج لأصحابه والنصر لهم والتمكين لدعوته . ولقد شاء الله له ما

(١) أسد الغابة لابن الأثير جـ ٥ ص ١٨٢ .

أراد . فكان المسلمون - فى المدينة - فى بحبوحة من العيش وقد تحولوا من ضعف إلى قوة . ومن فقر إلى غنى .

مصعب أول داعية إلى الإسلام فى المدينة :

لما انصرف أهل العقبة الأولى الإثنى عشر وفشا الإسلام فى دور الأنصار أرسلت الأنصار إلى رسول الله (ﷺ) رجلا وكتبت إليه كتاباً : إبعث لنا رجلا يفقهنا فى الدين ويقرأنا القرآن . فبعث اليهم رسول الله (ﷺ) مصعب بن عمير فقدم فنزل . فبعث اليهم رسول الله (ﷺ) مصعب بن عمير فقدم فنزل على سعد بن زرارة وكان يأتى الأنصار فى دورهم وقبائلهم فيدعوهم إلى الإسلام ويقرأ عليهم القرآن فيسلم الرجل والرجلان . حتى ظهر الإسلام وفشا فى دور الأنصار كلها . . وكان مصعب يقرهم القرآن ويعلمهم فكتب إلى رسول الله يستأذنه أن يجمع بهم - أى يصلى بهم الجمعة - فأذن له وكتب إليه : أنظر من اليوم الذى يجهر فيه اليهود لسبتهم فإذا زالت الشمس فازدلف إلى الله فيه بركعتين واخطب فيهم . فجمع بينهم مصعب بن عمير فى دار سعد بن خيشمة وهم إثنا عشر رجلا وما ذبح لهم يومئذ الا شاة فهو أول من جمع فى الإسلام جمعة .

منهجه فى الدعوة :

كان منهجه فى الدعوة يعتمد على حسن العرض والسياسة الحكيمة والإقناع . واستقطاب زعماء القوم وسادتهم للدخول فى الإسلام . فهم اللذين يمهدون الطريق لنشر الدعوة بين بقية الناس .

يقول الطبرى « فنزل بالمدينة على سعد بن زرارة فخرج به أسعد فجلس فى دار بنى ظفر فاجتمع عليما رجال ممن أسلم وسمع سعد بن معاذ واسيد بن حضير . وهما سيدا بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك .

فقال سعد لأسيد انطلق إلى هذين اللذين أتيا دارنا فأنههما فانه لولا سعد بن زرارة كفيتك ذلك فاخذ أسيد حربته وأقبل عليهما فقال ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلا عنا : فقال مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته . وإن كرهته كف عنك ما تكرهه . فقال أنصفت . ثم جلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام فقال ما أحسن هذا وأجله ؟ كيف تصنعون إذا دخلتم فى هذا الدين؟ قالا : تغتسل وتتطهر ثيابك إذا دخلتم فى هذا الدين ؟ قالا : تغتسل وتتطهر ثيابك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين ففعل ذلك وأسلم . . ثم قال لهما إن ورائى رجلا ان تبعكما لم يتخلف عنكما أحد من قومه . وسأرسله إليكما . سعد بن معاذ .

ثم تحدث سعد الى مصعب وفعل ما فعله أسيد ، ثم قال سعد لقومه . يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا سيدنا وأفضلنا : قال فان كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال . فوالله ما أمسى فى دار عبد الاشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة »[1].

(١) تاريخ الامم والملوك للطبرى جـ ٢ ص ٩٦ .

ونلاحظ على هذا المنهج :

١ - شجاعة مصعب وقوة إحتماله للشدائد وحكمته فى معالجة الأمور. فاسيد بن حضير يحمل حربته ويتهدد مصعب وصحبه ويأمرها باعتزال القوم . ومصعب يتقبل هذا بصبر وحكمه ويرد عليه « أو تجلس فتسمع.. الخ . لقد امتص مصعب غضب أسيد وهكذا يكون الداعية إلى الله أمام خصوم الدعوة فقد يشرح الله صدورهم للإسلام .

٢ - القدرة على الاقناع وعرض الدعوة بأسلوب يأخذ بالباب النفوس فلقد أسلم أسيد وكذلك أسعد عن طواعية واقتناع ولم يكن إسلامهما بتلك السرعة بالأمر السهل لولا ما وجداه من مصعب واسلوبه فى الدعوة .

٣ - إن إقناع سادة القوم بالدعوة يترتب عليه إقناع بقية القوم بها عاد مصعب إلى مكة بعد أن أدى مهمته بنجاح فى المدينة ولاقت دعوته قبولا لدى أهلها . ومهدت بالتالى الطريق لهجرة الرسول (ﷺ) اليها بعد أن اسلم غالبية أهلها .

عاد مصعب للقاء الرسول (ﷺ) بمكة . ولنقف قليلا أمام عودة مصعب . فعند وصوله إلى مكة كان أول بيت طرقه هو بيت رسول الله (ﷺ) تاركا بيت أمه التى تاقت لرؤيته وتالمت لفراقه لقد أدرك مصعب أهمية لقاء الرسول (ﷺ) فبدأ به قبل لقاء أمه . وهذا يعطى الدعاة إلى الله درساً فى تقدير الأمور وإدراك المسئولية . فجل

هم مصعب هو مقابلة رسول الله (ﷺ) ليخبره بما فعله فى المدين. وقد نائى بنفسه عن شواغل الدنيا .. حتى وإن كانت رؤية أمه ولما بلغ أمه أن ولدها قد قدم إلى مكة أرسلت إليه من يبلغها على لسانها « يا عاق اتقدم بلدا وأنا فيه ولا تبدأ بى فقال : ما كنت لابدأ بأحد قبل رسول الله (ﷺ) [1].

ثم أقام مصعب بمكة مع رسول الله (ﷺ) إلى أن هاجر (ﷺ) إلى المدينة فهاجر بعده باثنتى عشرة ليلة » [2].

ولما هاجر رسول الله (ﷺ) إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار فكان أبو أيوب الأنصارى أخا لمصعب بن عمير » [3].

جهاده فى سبيل الله :

ضرب مصعب بن عمير أروع الأمثلة فى الجهاد لنصرة دين الله والتمكين لدعوته . وقد جمع مصعب بين جهاد الكلمة فهو بالمدينة يجاهد بلسانه . أما جهاده بالسيف فقد تجلى فى غزوتى بدر ، أحد .

ففى بدر كان الرسول (ﷺ) قائد الجيش يستعرض المسلمين أمامه فيحدد لكل منهم موقعه فى الجهاد .. فهناك الجندى ورئيس الفرقة . وحامل لواء الرسول (ﷺ) . وهو أكبر لقب فى جيش المسلمين . وقد آنس الرسول (ﷺ) فى مصعب بن عمير الكفائة لهذا المنصب فاعطاه لوائه يوم بدر ليكون على رأس المقاتلين من المهاجرين . وتلك

(١) الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ٨٤ .

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) المصدر السابق .

مكرمة لمصعب تضاف . الى مكرمته السابقة وهى ثقة الرسول فيه وذلك بارساله إلى المدينة لدعوة أهلها إلى الإسلام . وقد أبلى المسلمون بلاء حسنا يوم بدر .

استشهاده يوم أحد :

وفى غزوة أحد تلك الغزوة التى حاولت قريش فيها أن تثأر لنفسها مما أصابها يوم بدر . اعطى الرسول (ﷺ) المهاجرين لمصعب بن عمير فحمله وأخذ يقاتل فى سبيل الله لا يبالى الموت . وكاد المسلمون أن ينتصروا فى أحد لواء مخالفة الرماة لرسول الله (ﷺ) وتركهم أماكنهم . الأمر الذى مكن لجيش المشركين أن يتغلغل داخل صفوف المسلمين فيفرقها .

ولم يكتف جيش المشركين بذلك بل أشاع أن محمد (ﷺ) قد قتل بعد أن أصيب (ﷺ) . وقد وقف مصعب إلى جانب رسول الله (ﷺ) يدفع عنه أذى المشركين ويفديه بنفسه وروحه يقول الواقدى « حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فلما جال المسلمون ثبت به مصعب فاقبل ابن قميئه - وهو فارس فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية . . وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه فضرب يده اليسرى فقطعها فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسول ثم حمل عليه الثالثة

بالرمح فانفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء » [1].

وهكذا سقط مصعب بن عمير شهيداً .

« عن عبيد بن عمير قال : وقف رسول الله (ﷺ) على مصعب بن عمير وهو منجعف على وجهه يوم أحد شهيداً وكان صاحب لواء رسول الله. وقال رسول الله (ﷺ) ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾ [2].

إن رسول الله يشهد عليكم أنكم شهداء عند الله يوم القيامة [3] .

لقد فارق مصعب الحياة ولم يجد له أصحابه شيئاً يكفنونه به عن خباب ابن الأرث قال « هاجرنا مع رسول الله (ﷺ) فى سبيل الله نبغى وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئاً . منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم يوجد له شىء يكفن به إلا نمرة . قال : فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه واذا وضعناها على رجليه خرج رأسه فقال لنا رسول الله (ﷺ) إجعلوها مما يلى رأسه وإجعلوا على رجليه من الأذخر» [4].

---

(١) الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ٨٥ .

(٢) الآية (٢٣) سورة الاحزاب .

(٣) أسد الغابة جـ ٥ ص ١٨٤ .

(٤) الطبقات الكبرى للواقدى جـ ٣ ص ٨٢ .

صفاته الخلقية والخلقية :

كان مصعب بن عمير رحمه الله تعالى من أجمل فتيان مكة وأكثرهم شباباً وأحسنهم ملبسا وكان وسطا بين الطول والقصر .

أما عن أخلاقه فنذكر فيها شهادة رفيقه ابى عبد الله عامر بن ربيعة يقول عن مصعب « كان مصعب بن عمير لى خدنا وصاحبا منذ يوم أسلم إلى أن قتل رحمه الله بأحد . خرج معنا إلى الهجرتين جميعا بأرض الحبشة وكان رفيقى من بين القوم فلم أرى رجلا قط كان أحسن خلقاً ولا أقل خلقاً منه . . »[1].

ولا غرو . فقد كان لخلقه العظيم وسلوكه الطيب أثره فى جذب المدعوين إلى دعوته . فالداعية إلى الله تعالى قدوة للمدعوين فى خلقه وسلوكه وسمته وهيبته ووقاره .

وكانت وفاة مصعب فى السنة الثالثة من الهجرة وهو ابن أربعين سنة أو يزيد قليلا . وقد وقف الرسول عليه وهو فى بردة مقتول فقال: لقد رأيتك بمكة وما بها أحد أرق حلة ولا أحسن لمة منك ثم أنت شعث الرأس فى بردة ثم أمر به يقبر فنزل فى قبر أخوه أبو الروم بن عمير [2].

---

(١) المصدر السابق ص ٨٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٠ .

رحمه الله مصعب بن عمير وجزاه خيراً عما قدمه لدعوة الإسلام فلقد كان علماً من أعلام الدعوة إلى الله فى المدينة وفارسا من فرسان المسلمين يوم أحد رحمه الله ورضى عنه [1].

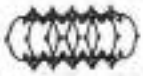

(١) هذا البحث نقلناه بتصرف من كتابنا الدعوة فى العهد المكى دراسة تحليلة .

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة : بقلم أ. د / حسن عبد الحميد حسن	٥-٧
(المنهج التكاملى - رؤية منهجية فى دراسة المذاهب الفلسفية)	٩-٤٨
بقلم أ. د/ أحمد عبد الحميد الشاعر.	
(فقه القرآن فى إعداد القوة للجهاد)	٤٩-٨٢
بقلم أ. د/ على محمد حسنين حماد	
(مقارنة بين موعظة الجبل وخطبة حجة الوداع)	٨٣-١٢٩
بقلم أ.د / فوزى عبد العظيم رسلان.	
(الصهيونية العالمية وخطرها على الحياة الإنسانية)	١٣١-٢١٠
بقلم أ. د/ مرسى شعبان السويدى.	
(الإستمساك بالعروة الوثقى بين الكفر والإيمان)	٢١١-٢٨٢
بقلم د/ جمال سعيد عبد الغنى .	
(أديان العرب قبل الإسلام)	٢٨٥-٣٤٢
بقلم د/ نجاح عبد الله البياع.	
خصوم الدعوة فى المدينة	٣٤٣- ٣٦٥
بقلم أد/ حسن عبد الحميد حسن	
شخصية العدد	٣٦٧-٣٨٠
بقلم أد/ حسن عبد الحميد حسن	
الفهرس	٣٨١

رقم الإيداع ٦١٥٧